

ناصر قنديل

عن تراجع حظوظ الإمبراطورية الأميركية بعد انكسار جناحيها: العثمانية الجديدة والاتحاد الأوروبي،

نبدأ «حديث الجمعة» هذا الأسبوع عبر «مختصر مفيد». وفي الصباحات تحيات لعظماء، وإشارات إلى أعداء مخذولين، وِحِكْمٌ ومأثورات، تمتدّ حتى «رياضيات في الكلام»، ليطالعنا الحُبّ ومكوناته وأسراره في «قالت له»، قبل الخوض في مشاركات الأصدقاء والصدقات.

مختصر مفيد *

العثمانية والاتحاد الأوروبي جناحان لمكسوران للإمبراطورية الأميركية

● كان الرهان الأميركي على التفرُّع لأفريقيا والخليج وشرق آسيا، وتقسيم النفوذ في الشرق الأوسط وأوروبا الشرقية بين الجناحين اللذين يمثلهما مشروع العثمانية الجديدة بقيادة تركيا الإخوانية، ومشروع الاتحاد الأوروبي بقيادة المانية فرنسية بريطانية، ولذلك أوكلت معركة سورية لتركيا بصفتها مفتاح النصر والهزيمة في الشرق الأوسط، وأوكلت معركة أوكرانيا لأوروبا. لأنها مفتاح النصر والهزيمة على روسيا، وبين روسيا وسورية يتقرَّر مستقبل النظام العالمي الجديد. وعلى رغم أهمية معركة أوكرانيا إلا أنّ سورية كانت ولا تزال الساحة التي يتحدّد فيها حجم روسيا وإيران. ووفقاً لمستقبل سورية يرسم مستقبل العالم، كما قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مراراً، وآخرها أمس تعليقاً على مستقبل العلاقات التركية - الروسية.

● من سورية سقط جناحا المشروع الإمبراطوري الأميركي، الاتحاد الأوروبي والعثمانية، كما يحدث عندما تستعمل مطرقة حديدية لاختراق جدار صخري، فتتكسر المطرقة عندما تتألى الضربات البائسة على صخر لا يخترق ولا يتكسر، ترتد الطاقة على نقاط ضعف المطرقة فتتكسر ذراعها أو ينقلت رأسها. والذي يحدث الآن ليس خطة واعية متكاملة يمكن استقراء اتجاهها بقدر ما هو تعبير عن قوة الارتدادات الناتجة عن الحرب السورية على الجسمين الصلبيين للاتحاد الأوروبي والعثمانية، وإعلان صارخ لبداية التشقّق والتفكك والتشظّي، وصعوبة التماسك لرسم خطة بدوية، فتحدّث ضوضاء الخطاب في كل اتجاه، وتختلط المفاهيم، بين حديث عن معنى مبهم جديد للاولويات وتوسيع متناقض للتحالفات، وسعي متلخّخ لرسم السياسات، والأصل فقدان التوازن.

● ما زالت البدايات تتداعى، ولا توازن إلا برسم استراتيجية واضحة للخروج من الحرب السورية، يبدؤها الرأس الأميركي، ويتبع الجناحان فالذيل..

ناصرقنديل

* ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشرق» التونسية و«الثورة» السورية.

رياضيات في الكلام

- الخجل للمرأة في الحُبّ كالشجاعة للرجل في الحرب.
- يتوقّف دور المال والقوة في صناعة الفرح عند حدود الكرامة... وتبقى الكرامة سبباً أبدياً للفرح.
- أصعب المرأة ألا يجد المرء ساعة من يومه قد قرّر بنفسه ما فعله فيها بشغف.

عشق الصباح

إليك ببيادر من الفصح وتلال من الورد والريحان «يا الساكن جوا شغاف الروح»، وما غالبت فيك ولي أن أغالي .
يجيء الصوت المسكون بالحُبّ والحياة. ناولني يدك. ترتعش أصابعي القابضة على القلم. عفوكم فلمان وفي كفي ملح وماء.
قال: أنهض في فجر الضوء قيامة الروح. أشرب من ماء «عذب فرات». سؤال حزيني: «كيف يصبح... جوي الغيم ماء الملح عذب فرات؟!»، فكأن كالمزن مُتدفّقتان بالعطاء. هكذا هي الحياة... «أياد تعمل حتى ترف الدم وهي تسكب الماء ليمو الزرع وينبت الأخضراره»، يا إلهي ما أشوقني إليك. كم قلت: بلاد على اتساع العشق كانت تجري الشمس في مستقرها. لكن الحياة خلقت لإجلها. وأباد في الخفاء بغفلة من الضوء أشعلت الجرائح ليعمّ الخراب. فأخرجت الأرض من جحورها وحوشاً وأشباحاً ترتدي الليل، خفاًفيش الظلام والريح المجنونة تعصف بكل الاتجاهات.»

«تبت يد أبي لهب وتب، ومعه حمالة الحطب»، هؤلاء الخونة هم وعراعرهم في قعر جهنم لا محالة. إليك في فجر الله ياوجه النهارات ووهج الشمس (أسد بلاد الشام) وما بذلت تديداً. قامتك تعانق الأنجم الزهر بكل كبرياء، وجهك مُشعّ بالإيمان نوراً على نور. بحكمتك وصمودك ستبقى سورية جيشاً وشعباً يخفق الفؤاد، والعلم وطن غَال يستحق التضحيات. «نصركم هزّ الدني».

حسن ابراهيم الناصر

لا أدري

<p>حين تسكن الآلام أعماقنا فتغفر قلوبنا ومنها نكتفي وحين نهرب من أحزاننا فنجد أقدامنا لأثارها تكتفي</p> <p>وحين نرى الحُبّ يتسرّب من حياتنا ولحظة بلحظة صار يخفتي</p> <p>حين تكن مشاعرنا فريسة سهلة بعقل معنود ويتعلنان الخوف في جوفه فنتشابه علينا الوجوه</p> <p>وتكن حياتنا لغزًا محالا علمه وفيه تنود حين ننظر إلى السماء فتراها سحابة سوداء وتقلع جذور الحُبّ حين تهبّ عاصفة الجفاء</p>	<p>ويكن دفة الليالي كبرود الشتاء وإذا بالقلب يرتجف ويعلان الاستسلام</p> <p>فقد كره وجوده كرفيق للآلام</p> <p>يلفظ أنفاسه الأخيرة ويستحب من الأيام تلك هي رقيقة الموت وفيها تلتزم لأركان الصمت</p> <p>وتختبئ الأرواح فلا أدري... أين أنا؟ ولا... أين أنت؟</p>
<p>عبير فِصّة</p>	

أنا وأنت

. سلاماً. لم أرك يوماً بهذا التآلق. هناك حبيبة؟!

- لا أعرف ماذا أقول لك. نحتفظ بأوهامنا فيستهلكتنا الحزن
- المكان. الواقع كالفجر يجيا وينبض ولا يقف على الأطلال. هي صديقة قديمة جمعنا يوماً إعجاب وفرقتنا بعدها السنوات. كنت معك وكانت لغيري. العمل، الأفكار والعقيدة أعادتنا إلى خاتة البدايات.
تمهلنا، عانيتنا كثيراً جداً قبل الاعتراف. لم أخذك قط. لكن حبّها ملاصديري وأزاح ذكراك بسرعة عن الطريق.
- ما زلت أذكر جملتك عندما عرّفتني إليها. «كل الكلمات لا توفيقها حقها»، شعرت عندما خطب ما. لكن الثقة أعمت بصري. بعدها برد القلب وغدت الابتسامات رمادية بلا حياة. أنت لست ملزماً بتقديم تبريرات. بوضوح لنسّم الأسماء كما هي.

-علاقتنا كانت منجّبة إلى الزوال. أنا نار واعصار، وأنت كالجليد متحفظة إلى حدّ الاختناق. ازدادت بيننا المسافات وصار كل لقاء عتاب. لم أتوسل بقاءك لأنني قد سبقتك بالرحيل. القلب حين ينكمش لا يستطيع النظر إلى الوراء.

-لحظة الحقيقة لا تحتاج إلى تفسيرات. كنّا معاً في هوّى وبأيدينا أظفنا عند المغادرة الباب. لا أطلب الرجوع أو أقصد العتاب. كنت فقط أسالك كيف الحال؟

رانيا الصوت

البناء

حديث الجمعة



صباحات

● فلتخيل قائدًا كالسيد نصر الله وحجم الملفّات التي بين يديه، من صيانة وتعزيز ميزان الردع في وجه «إسرائيل»، إلى مقتضيات ومستلزمات الحرب في سورية والعراق واليمن، والقلب على البحرين، ومواكبة أوضاع الحزب ومؤسساته وناسه وهمومهم واهتمامتهم، انتهاءً بمفاعيل قانون العقوبات الأميركية. وعلى رغم ذلك، يتفرّد بتسجيل ظاهرة السموّ والرفعة في جعل الأخلاق الإنسانيّة معياراً للسياسيّة، فيعلن طرد كل عضو في حزب الله يشارك في إطلاق النار ابتهاجاً أو حزناً أو غضباً، مهما كان تاريخه مشرقاً، وكانت سيرته مشرّفة، لأنّ الاستهتار بحياة الناس عمل مشين، كاف لوضعه خارج شرف الانتساب إلى حزب المقاومة والناس...إنها الأخلاق.

● بريطانيا وتركيا شرق أوروبا وغربها، ينسحبان من الحروب ويخرجان من أوهام الامبراطورية، وينكفئان إلى الداخل على ورغم كلّ الكلام المنمّق ومحاولات التمويه. فهما تعترفان ضمناً أن مكاسرة الصخرة السورية لخمس سنوات قد شقت رؤوسهم وصارت الأثمان أعلى من العادات، وأن السّمّ الذي أعدّ لسورية فاضت به موائدهم فشرّبوه. وأنّ الزراعة الوافدتين من أوروبا الشرقية باسم الاتحاد الأوروبي. فأخر نتاجكم وصول السحر الأصفر في سورية، فانتقلب السحر على الساحر. والتمتّة عندما تعلن أسباب تنحية أوغلو... الذي علمهم السحر.

● أردوغان لم يعتدّر لروسيا، لكنه ليس توبه بالمقبول، وغطّى رأسه باللبن وركب حماراً معقورا وطاف حول اليوسفور طالبا رضا بوتين. ولما جاء قبول الرسالة قال باللغة التركية كلمة «لا تأخذونا» معناها غير كلمة «اعتذر»، فيقصد بها لقد ارتكبنا حماقة وتصرّفنا كأغبياء، وتكلّفنا غالياً ثمن «جشحة» لا يقدم عليها البشر، وما نالكم بسيط من نتائج هذه «الحيونة»، وما نالنا كثير. فهل صفحتكم وطويتم الصفحة وفتحتم لنا الباب لنصح ما خرّبناه.

يا محلا الاعتذار... حلو القاموس التركي!

● صاح البريطانيون في وجه كامبيرون عندما طالبهم بالتصويت لصالح البقاء في الاتحاد الأوروبي، فقالوا: عندما تحقّق وعودك لنا بالغاز الروسي الرخيص عبر دخول أوكرانيا وحصار موسكو، والغاز القطري عبر سورية وتركيا وتفتح لنا أسواق آسيا بعد حصار الصين وحرمانها الغاز والنفط من إيران، تستطيع مطالبتنا بحمّل منافسة العمالة والزراعة الوافدتين من أوروبا الشرقية باسم الاتحاد الأوروبي. فأخر نتاجكم وصول الإرهاب وتدقّق اللاجئين. تحمّلنا مرافقتكم ربع قرن فلن نعطيك أعمارنا لمغامراتكم...

بكي كامبيرون وضحك السوريون. امنوا على رحيل الأسد وفشلوا، فبقي الأسد ورحلوا!

● البودة إذا لم تورّع عطرها لاميرة تستحقّه، لا تشعر بالوجود. وإذا رقصت من الفرح لا تكتمل فرحتها قبل أن تعقد خلوة مع النحلة تروي حكايتها وتمنح حقيقها بلا حساب ولا مئة. والذين يدعون القدرة على الشعور بالوجود والفرح في العزلة خارج أسرة صغيرة صنعوها بأنفسهم، مرافقون ولو بلغوا من العمر عتياً. يتعلمون الحياة وقد يغادرونها قبل أن يتوّأ صفوفها الابتدائية. اختبروا نجاحاتكم بحجم الذين يشغ فرحكم وسطهم وتمنحونهم الفرح لنتلقوا إشعاعه عبرهم... تلك هي السعادة التي يتقنها الشهداء.... وكلّ ابتسامه تصنعونها لإنسان لها نسبة من شهادة بحجم حاجته إليها، وتعطيكم فرحا بحجم صدقه في تلقّها. هكذا يشغ الصباح عليكم فابتسموا للضياء.

● يصنع الناس عتبات وهمية لأبواب وهمية يتوّعونها. باب تغيير جذري في حياتهم نحو الأفضل، ويحلمون بها ويرسمون لها الأحلام الوردية، فيحذث أن يبلغوها ولا يتغيّر شيء كما توقّعا، بل صار عليهم رسم عتبات جديدة لأبواب جديدة. أو لا يقع ما توقّعا، فلا تفتح لهم الأبواب، فيصيبهم اليأس من الحياة والإحباط من المستقبل، وهم لا يعلمون أن أوّل التغيير هو اليقين بأنّ لا تغيير جذريا في الحياة يصنع معجزة إلا التغيير والتفكير، وأهمّه اكتشاف أنّ المعرفة للذات وللغير وللمجتمع هي مصدر القوة قبل المال والمناصب والشهرة والأسرة، بل بها تدخل العتبات الآمنة نحو المال والمناصب والشهرة والأسرة... فهل نبذل من وقتنا لنعرف أكثر ونتواضع في ادّعاء المعرفة بمثل ما نهدر من الوقت لما نتخيل من عتبات وأبواب؟ الجواب هو صباح أيامنا.

● إذا كانت الطرق التي نسلكها معقدة وصعبة، فعلينا قياسها بالأهداف التي نقصد بلوغها لا بالجهد والوقت اللذين أنفقناهما إليها. وإلا صرنا كالمقامر الذي يواصل اللعب دفاعا عن خسائره وسعياً إلى تعويضها، فيقع في المزيد منها، ويرتكب الحماقات في مزيد من الغرق في مستنقع الأحلام. بينما الشجاعة هنا ليست في الإقدام والمثابرة، ليست بالعناد، الشجاعة هي قدرة التراجع أحيانا والمثابرة هي مواصلة التديق والمراجعة دائماً. هو الفارق بين الشجاع والمغامر والمقامر.

قالت له

قالت له: هل للحبّ عمر يشيخ من بعده ويفنى؟ أم الحبّ كائن أبديّ يتجدّد ويتحوّل لكنه لا يموت؟

فقال لها: وهل تحسّين بشيخوخة حينا وقرب فئائه؟

فقالت: أحس أنه يمر بمرحل من الرمان. يخرج بعدها كطائر الفينيق حيّاً يرفرف بجناحيه، وأخشى أن يأتي يوم ويبقى رمادا.

فقال لها: الحبّ كائن حيّ يلازمتنا ولا يرحل إلا برحلتنا. لكنه قد يتبدّل بمن نحبّ أو من نظن أننا نحبّ. لأننا مع كل حبّ جديد نقول هذا هو الحبّ الحقيقي، وما قبله كان ظلنا بالحبّ. بينما الشعور بالحبّ أشكال واللوان، فمنه ما لا تشعر به إلا وقد صار نكزى، ومنه ما نحاول التقاطه قبل نفاذ ذخيرته. ومنه ما نتكلّل نحن بموته عندما

يصير روتنياً وتكرارا وعطاءً متعباً بغرض الإرضاء. لكن القادر على الحياة منه هو متعدد الألوان والشخصيات. فلا يهرم ولا يشيخ، يصير الحبيب فيه آخا وصديقا وأبا وحبيبا، وتصير الحبيبة أختاً وأماً وابنة. ولا ينفضل فيه الحبان عن الانشغال. فالقوي في حين يصير أبا أو أمّاً، وعندما يضعف يصير ابناً أو ابنة، ويقع كل منهما وسادة الآخر ومرآته وملاكه الحارس، ولا يتطلب واحدهما من الآخر ما يشعر أنه يريد وقد شعر بقسوة الطلب نفسه المثلّم من قبل، فيجهد كل منهما ليمنح الآخر ما يقدر ويشعر أنه سبب للفرح ويترفعان عن التملك ويكران على الغيرة، وإلا أصيب القلب بأحد المرصين: الذوبان تحت تأثير عوامل التآكل بفعل الزمن، أو الانطواء والضمور بفعل المجاملة والنجل والحرص والحرج، وكلاهما إن لم يفتح نوافذ القلب على الغير فقد يغلقها على الفرح.

ومن يريد الفرح للحبيب عليه أن يبادر فيرجل.

فقال: ولم لا يبادر ليكبر فيأغار الغيرة والتملك بدلا من مغادرة الحبيب؟

فقالت: لأنّ الحبّ غيرة وتمك. وإلا صار صداقة، وأنا أرضاك صديقاُ. فهل

ترضائي؟

فقال لها: وقد جمعت معك الحبّ والصداقة، فلماذا تخيّريني بينهما؟

فقالت: لأنك كل يوم ترتدي الوجه الذي تريد، فتربكني وأنا لا أعرف أن أراك كل يوم بعين مختلفة. أريد توطين النفس على واحدة ولو يقلب حزين.

فقال لها: أتريدين الحبّ بلا الارتباك وهو ليس إلا ارتباك جدول أعمال حياتنا، وارتباك نبض قلوبنا، والأمان والأطمئنان فيه هما النهاية التي لا قيامه بعدها؟

فقالت: ومتى أشعر بالسكينة؟

فقال: لا يشعر العشاق بالسكينة إلا عندما يموت الحبّ أو يموتون.

فقالت: لهذا قيل في الحبّ إنه موت في الحياة وحياة في الموت؟

فقال: وقيل حبّ حتى الموت، وقد يكون الموت للحبّ أو للحبيب. فتعالى نحيا بالحبّ بدلا من أن نمشي في جنازته أو يمشي في جنازتنا. فالحبّ هو سلاحنا الأمضى والأحلى لمكافحة الخوف من قادم اسمه الموت بكل صنف ولون. فما لدينا منه يكفي للفرح من دون تطلب المزيد، وغالبا طلب المزيد يجلب نقصان.

وعانقها وهي ترقمه بنصف ابتسامه ونصف دموع، وفي العناق ما بين الرضا والتمنّع.

ما التبار؟ وما عكسه؟

وأين يخلق ذاك السرب؟

لا تهتم إن كنت تسبح معه أم لا

ولا تفكر إن كنت تغرّد خارج السرب أم

نصيحة بجمل

داخله

امض، واطمح واعمل

ستتفخر

وعندئذ، في انجاهك سيسبحون

وفي سربك سيغرّد المغرّدون

ستكون أنت النبار

وسيكون منك السرب!

.د. هلا علي